صراع في شبكة علاقات معقدة

Miller, Aaron David; *The P.L.O. and the Politics of Survival*, The Washington Papers/99, New York: Praeger, 1983, IX + 132 Pages.

يأتي هذا الكتاب ضمن مجموعة متنامية من الكتب والدراسات التي صدرت منذ صيف ١٩٨٢ لتتناول تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية. وتتوزع هذه الكتب بين تلك الدعائية التي كتبها مؤيدو اسرائيل بهدف تبرير الغزو الاسرائيلي للبنان، مثل كتاب «منظمة التحرير الفلسطينية» لجوليان بيكر و «م.ت.ف. في لبنان» لرفائيل اسرائيلي و «م.ت.ف. تحت النار» لسالبيتر وهاليفي، وبين الكتب النقدية او المحايدة (وان كانت مؤيدة لاسرائيل ككيان) مثل كتاب «الحرب الاسرائيلية ـ الفلسطينية» لريتشارد غبرييل و «حرب اسرائيل في لبنان» لزئيف شيف واحود يعاري، وبين تلك الايجابية تجاه المنظمة مثل كتاب «م.ت.ف.: الاشخاص والسياسات» لهيلينا كوبان و «عرفات» لآلن هارت. ويقع الكتاب الحالي في الصنف الثالث من الكتب عملياً، ليس بسبب تعبير المؤلف عن عواطف معينة او تأييد سياسي للحقوق الفلسطينية بل بسبب اتباعه للتاريخ، بموضوعية فائقة، ونجاحه في رؤية مجموعة حقائق واتجاهات تتعلق بسير القضية الفلسطينية وتاريخ م.ت.ف. السياسي.

تتضح اهمية هذا الكتاب اكثر عند المعرفة ان مؤلفه، آرون ديفيد ميلر، يعمل في وزارة الخارجية الاميركية كمحلل لشؤون م.ت.ف. ولبنان لصالح دائرة المعلومات والبحث. وحين يضاف الى ما سبق قيام وليام كواندت، الباحث المعروف والعضو السابق في مجلس الامن القومي الاميركي والموظف السابق في قسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية، بتقديم الكتاب، يظهر ان هذا الكتاب يعبر، خير تعبير، عن وجهة نظر طرف في الادارة الاميركية تخالف وجهة نظر البيت الابيض. ولم يعد وجود هذا الاختلاف، او حتى الصراع الناشىء عنه، سراً بالطبع، اذ معروف ان الضوء الاخضر الذي جاء لاسرائيل في منتصف ١٩٨٢ للبدء بالغزو قد جاء من وزير الخارجية، الكسندر هيغ، بتشجيع مباشر من الرئيس رونالد ريغان، وقد نقض، كلياً، السياسة التي فضلتها وزارة الخارجية نفسها (بمدرائها ودوائرها ومختصيها) والتي كان لها الغلبة منذ نجاح المبعوث الاميركي فيليب حبيب في ترتيب اتفاق ضمني سوري ـ اسرائيلي حول ازمة صواريخ سام ـ ٦ في سهل البقاع في ربيع ١٩٨١ وفي ترتيب وقف اطلاق النار بين م.ت.ف. واسرائيل في تموز (يوليو) ١٩٨١. فيمكن اعتبار هذا الكتاب بمثابة الحجة التي يقدمها اولئك المعروفون بلقب «المختصين بالعرب» في وزارة الخارجية الاميركية، والتي تنادي بضرورة اجراء الحوار مع م.ت.ف. والاقرار بالحقوق الفلسطينية، علماً ان هؤلاء ينطلقون، بالضرورة، من رؤيتهم للمصالح الاميركية (وهي رؤية تختلف، من حيث الوسيلة وليس دوماً من حيث الغاية، مع رؤية المعادين للمنظمة) ويفترضون، مسبقاً، انه يترتب على م.ت.ف. ان «تتهذب» وان تدخل في المسار السلمي حسب تصوراتهم له.

ينقسم الكتاب الى مقدمة وستة فصول تتناول الحركة الوطنية الفلسطينية و م.ت.ف. من العام ١٩٤٨ الى العام ١٩٧٩؛ والقيود التنظيمية على م.ت.ف.، والقيود الخارجية، وصراع م.ت.ف. واسرائيل، وتضافر القيود الخارجية والداخلية في فترة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٢، ومستقبل م.ت.ف. وتجدر الاشارة الى ان المؤلف لم يتبع اسلوب السرد التاريخي الاكاديمي او التفصيلي، بل عمل ليقدم دراسة سياسية تتابع وتقيّم الخلفية السياسية ودلالات وعواقب